الحياة السياسية في النوبة 1805 – 1960

مصطفي أحمد سوكارنو أ.د عائشة عبد العزيز التهامي د إبراهيم عبد الباسط
كلية السياحة والفنادق – جامعة الفيوم

الملخص

لقد كانت النوبة[1] قبل التهجير منطقة معزولة تقع جنوب مصر، حيث مرت بالعديد من المراحل في تاريخها والتى كانت معاصرة للحضارة المصرية فى مراحلها المختلفة، فلقد أقامت علاقات سياسية واقتصادية مع ملوك الفراعنة من الأسرات القديمة مرورا بالوسطى ثم الدولة الحديثة. مرورا بانهيار أخر الممالك المسيحية النوبية خلال فترة حكم المماليك فى مصر، حيث انتهى حكمهم على يد محمد على في بداية القرن التاسع عشر الميلادى. وشهدت المنطقة أخر المعارك التي حدثت على أراضيها إبان الثورة المهدية في السودان عام 1889م[2] **(شاروبيم، 2003)**، وكان الأثر الأكبر في أوائل القرن العشرين عند إنشاء سد أسوان في 1902 ثم تعليته الأولى في 1912م, والأكثر تأثيرا تعليته الثانية في عام 1933. ومع فترة الستينيات بدأت مصر في بناء السد العالي مما أغرق الأراضي النوبية، الأمر الذي أدي إلى تهجير النوبيين إلى موقع في منطقة كوم أمبو في شمال أسوان.

الكلمات الدالة: النوبة – التهجير – السد – النيل – النوبيين

المقدمة

لقد تطورت الحياة السياسية فى النوبة منذ العصور القديمة وحتى دخول المسيحية فى بلادها. تجدر الإشارة إلى أن نزاعات النوبة مع العرب فى مصر كانت تتجدد من حين إلى حين، خاصة بعد أن شعر النوبيون بعزم مؤكد من جانب مصر على تهديد مصالحهم التجارية، وهكذا بات سقوط الدولة المسيحية فى النوبة محققا ومقدرا له أن يتم مع مرور الوقت وبطريقة تغلب عليها الطابع السلمي **(الشامي، 1961)**، وبانتهاء مملكة دنقلة فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى تخلت النوبة تماماً عن المسيحية **(Shinne, 1965)**، لقد ظل أهل النوبة يعتنقون المسيحية لمدة

[1] لفظ النوبة أطلق على المنطقة من حدود أسوان شمالا حتى ملتقي النيلين بجوار الخرطوم حاليا، أما لفظ النوبا فيطلق على منطقة في كردفان, حيث توجد جبال تعرف باسم جبال النوبا ويعرف سكانها بالنوباويين وذات صفات مختلفة عن سكان النوبة، كضخامة الجسد والعضلات وشدة السمرة أو سواد البشرة وانهم يسكنون الجبال ويتصفون بصفات الزنجية، أما النوبى فهو يتصف بجسم نحيف متوسط القامة وبشرة أقل سوادا. [عوض، 1951]

[2] بعد أن توفي المهدي في 22 يونيه 1885، وتولى حكم السودان من بعده عبد الله التعايشى هو عبد الله محمد أدم تورشين، الذي وجد شهرة المهدي ذهب إليه في جزيرة آبا، ولقد قربه المهدي إليه وعينه خليفة له في 21 يونيو 1885م، وفي عهد التعايشي هاجم سواكن في سبتمبر 1888م ودارت معركة بينه وبين الجيش المصري واحتل دنقلة ثم تقدم حتى وصل إلى خور موسي باشا جنوبي وادي حلفا في أغسطس 1888م. وفي 2 يوليو 1889م هاجم جنوب أسوان عند توشكي ولكن تصدت له القوات المصرية التى انتهت بهزيمته ولقد قتل في 24 نوفمبر 1889م، لتنتهي المهدية بعد ذلك.

سبعة قرون وتحديدا حتى القرن الخامس عشر الميلادي حيث استقر الدين الإسلامى في النوبة وأصبحت الديانة الرسمية. لتدخل في مرحلة جديدة لم تعد لهم السيطرة الفعلية علي أراضيهم ولم يعد بمقدرتهم حكمها ذاتيا وهذا ما يتضح من خلال الحياة السياسة فى النوبة خلال العصر الحديث والمعاصر.

أسباب اختيار الموضوع

علي الرغم من أهمية النوبة علي مدار تاريخها واهتمام الباحثين بدراستها منذ العصور القديمة، إلا أنها لم تستحوذ علي اهتمامهم بشكل يتناسب وقيمتها التاريخية منذ العصر العثماني مرورا بحكم أسرة محمد علي وانتهاء بتهجير النوبيين.

أهداف الدارسة

– توضيح الحياة السياسية للنوبة في الفترة من العصر العثماني إلي دخول الحملة الفرنسية علي مصر.

– عرض الحياة السياسية للنوبة خلال حكم أسرة محمد علي.

– إظهار تأثير بناء سد أسوان والسد العالي علي النوبيين.

التمهيد

الموقع الجغرافي للنوبة

تقع بلاد النوبة قبل التهجير (أي حتى عام1964) إلى الجنوب من مصر تحديدا جنوب أسوان، وكانت منطقة ممتدة على جانبي نهر النيل من الجندل الأول ليصل إلى دنقلة[3] بالسودان حتى تصل إلى الجندل الرابع عند ملتقي النيلين الأبيض والأزرق (أي الخرطوم حاليا) [4]. وكان ينقسم إقليم النوبة إلى ثلاثة أقسام هي: النوبة السفلى – النوبة الوسطى – النوبة العليا.

– كانت النوبة السفلي تقع بين الجندل الأول (جنوبي أسوان) وحتى وادى حلفا جنوبا, وكان نهر النيل فى هذه المنطقة صالحة للملاحة.

– النوبة الوسطى هي المنطقة التى تقع بين حلفا ودنقلة، وتتصف هذه المنطقة بضيقها وكثرة ما يعترض مجرى النهر من جنادل (**سعد، 2011**).

– النوبة العليا هي المنطقة التى تقع من دنقلة حتى ملتقي النيلين الأبيض والأزرق، وتمتاز هذه المنطقة باتساعها وخصوبة أرضيها.

[3] دنقلة: تقع علي الضفة الغربية للنيل, وعلى بعد حوالى 213 كم شمالي الخرطوم. وكانت عاصمة مملكة المقرة. (مهران، 1999)

[4] يطلق عليها لفظ الشلال وفي الانجليزية Cataract على أن النهر ليس به مواضع لتساقط الماء, كما أطلق عليه الجندل هى أماكن تكون مجراها شديدة الانحدار وتعترضها مجموعة من الصخور. (عوض، 1998).

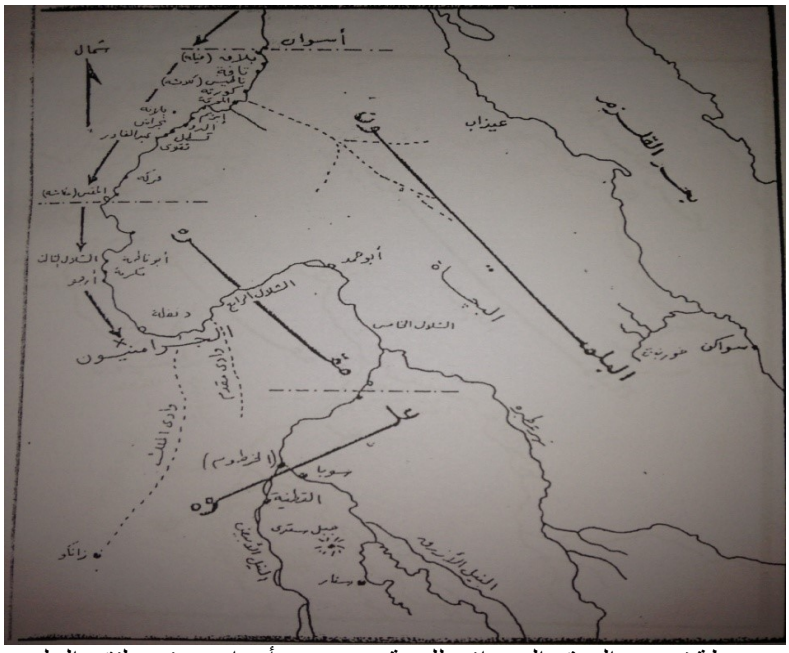

خريطة توضح الموقع الجغرافي للنوبة من جنوب أسوان وحتى ملتقي النيلين
نقلا عن (عبد الكريم، 2009)

الحياة السياسية للنوبة في العصور القديمة

تعتبر منطقة النوبة من أهم الأماكن التاريخية التي كانت لها علاقة وطيدة مع مصر، وقد بدأت العلاقة بينهما منذ عصور ما قبل التاريخ من نقوش على الصخور ومخربشات، بالإضافة إلى البحوث العلمية والاكتشافات الأثرية[5] التى أظهرت وجود روابط بين النوبة ومصر من عصور ما قبل التاريخ، وأظهرت هذه الاكتشافات التى عثر عليها تشابه في عادات الدفن والأوانى والملبس[6].

ولقد كانت النوبة لها أهميتها السياسية لملوك مصر منذ عصر الدولة القديمة، حيث اتجه أنظار ملوك المصريون القدماء (3150 ق.م) للتحكم في الطرق والسيطرة على النوبة باعتبارها حدود مصر الجنوبية إلى إفريقيا. ومن عهد الأسرة الحادية عشرة سعى ملوك مصر لإعادة تأمين الحدود الجنوبية وفرض نفوذهم على النوبة وإجبارهم على دفع الضرائب، وظهر هذا النشاط من حكم الملك

[5] إن الدراسات الأثرية الحديثة أثبتت أن أهل النوبة السفلى الذين استقروا فى أوطانهم عاشوا فى مستوى حضارى مطابق للمستوى الذى وصل إليه المصرى فى عصور ما قبل التاريخ بل كانوا يتبعون نفس الأسلوب الحضارى الذى يتبعه المصريون, فالاكتشافات الحديثة فى مقبرة قسطل تنتمى إلى عصر ما قبل الأسرات فى مصر وكانت بعض الآوانى تحتوى على نقوش تمثل الأشكال الأولية للكتابة الهيروغليفية، كما تبين أن بعض المباخر منقوش عليها رموز استخدمت فيما بعد فى عصور الأسرات. كما أن هناك دليلاً آخر على استمرار الصلة بين أصحاب حضارة النوبة (3200-2680ق.م.) وبين الأسرة المصرية الأولى وهو ظهور المحاولات الأولى لصنع المنحوتات بين أصحاب الحضارة النوبية فى ذلك الوقت المبكر. حيث قام العلماء بتقسيم المقابر التى تحتوى على أثارهم إلى رموز بالحروف .A. B. C. X التى تمثل مجموعات ثقافية لعصر معين. **(أبو بكر، 1962) : (بكر، 1987)**

[6] فى عام 1962م تم اكتشاف مقابر بالنوبة عندما قامت بعثة من الأثريين العالميين بإنقاذ الآثار النوبية من فيضان السد العالى, تشبه مقابر عصر نارمر فى أبيدوس التى عرفت بمقابر مجموعة (A) (5000- 3000ق.م.): ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ إلى عصر الأسرات الأول، وقد تكونت من سكان النوبة الأوائل وتحتوي على أواني من الفخار صناعة مصرية كما وجدت بعض المصنوعات من الحجر بالإضافة أن طريقة الدفن تشابه ما وجدت في مصر التى تأخذ شكل قبر صغير ومسطحا وكان الجسم يوضع فيه مقرفصا ويغطى الجسم بالحصير او جلد حيوان، وتوضع مع المتوفى أثاثه من أوان من الفخار صناعة مصرية وأطباق وسكاكين وأسلحة حربية كالسهام .وهى عبارة عن مقابر اكتشفت في دابود ودهميت وجرف حسين والدكة وبعض القري الأخري. **(Smith, 1991)**

منتوحتب الثانى من الأسرة الحادية عشرة قبل الميلاد، الذى اخضع المنطقة جنوب الفنتين[7] **(فرمان، 2005)** حتى وصل إلى الشلال الثانى. ومع نهاية الدولة الوسطى في عام 1786ق.م شهدت مصر فترة زمنية جديدة تعرف بعصر الانتقال الثانى، الذي تزامن مع دخول الهكسوس مصر (1785– 1552 ق.م) وقيام مملكة كوش في النوبة، مما اضطر المصريون إلى سحب قواتهم من النوبة السفلى، ولاسيما أن الكوشيين الذين يسكنون عند الجندل الثانى هاجموا المواقع التى كانت تحت النفوذ المصري حتى وصلوا شمالا عند الجندل الأول.

وفي أواخر عصر الدولة الحديثة ضعفت قوة مصر منذ الأسرة الحادية والعشرين وحتى الأسرة الرابعة والعشرون والتي سميت بعصر الانتقال الثالث، حيث سعى النوبيون إلى الاستقلال تدريجيا لتصبح لديهم دولة مستقلة كانت عاصمتها نباتا Napata عند جبل بركل[8] Gebel Barkal بالقرب من الجندل الرابع, حيث أقيم فيها معبد الإله آمون، وكان يقوم بخدمته كهنة آمون الذين قدموا من طيبة. وامتازت الدولة بأهمية موقعها واستطاعت بسط سيطرتها لتمتد إلى النوبة السفلى وفى النهاية استطاع بيعنخى Piankhi أن يستغل حالة الفوضى الداخلية في الشمال ليجعل من نفسه سيدا على مصر **(Emery, 1948)**.

وقد عرفت بالإمبراطورية الكوشية[9] فى مصر فى القرن الثامن قبل الميلاد، وكانت لهذه الإمبراطورية عاصمتان هما "نباتا" التى تقع فى الجندل الرابع و"مروى" وهى التى تقع بالقرب من الجندل السادس**(Leclant, 1978)**. وكان ملوك "كوش" قد فرضوا سيطرتهم على مصر بعد أن أطلقوا على أنفسهم ألقاب الفراعنة فى السنوات الأولى من القرن الثامن قبل الميلاد، كما استطاع أمير نوبى يدعى "كاشتا" Kashta التزوج من سيدة مصرية تسمى "شبنت" وتوج نفسه ملكاً على مصر وبلاد كوش لعدة سنوات**(Budge, 1970)** ونتيجة لقيادته القوية اعترف به الكهنة المصريون في طيبة حاكما على مصر، حيث سجل ذلك على لوحة عثر عليها في الفنتين.

ولقد حكم النوبيون مصر في الفترة من 751 قبل الميلاد إلى 653 قبل الميلاد ليستمر هذا الحكم لنصف قرن، وهى التى عرفت بالأسرة الخامسة والعشرون **(Poeschke, 1996)** حتى تمكنت القوات الأشورية من التقدم والاستيلاء على طيبة فأضطر تنتمانى إلى الفرار من مصر سنة 660 قبل الميلاد.

---

[7] جزيرة إلفنتين: عرفت باسم آبو أو جزيرة الفيل وهو الاسم القديم لجزيرة الفنتين الحالية, سميت بذلك الاسم نظرا لما لها من شهرة كبيرة بتجارة العاج, طولها من الشمال إلى الجنوب نحو الكيلو ونصف الكيلو متراً, أما عرضها نحو نصف كيلو متر, كان خنوم هو المعبود الرئيسي بالمنطقة ومعه المعبودتان عنقت وساتت.

[8] جبل البركل أو البرقل: يقع علي الشاطئ الشرقي للنيل ويقابله على الضفة الغربية للنيل مدينة نباتا, ويسمى جبل البركل في المصرية القديمة الجبل المقدس من خلال نصوص الدولة الحديثة. (مهران، 1999).

[9] الأسرة الكوشية أو الإثيوبيون: كان الإغريق يطلقون كلمة أثيوبيا التى تعنى بلاد السود التى أطلقت على كافة بقاع النوبة, وقد حددها مانيتون بالأسرة الخامسة والعشرين كأسرة أثيوبية انبثقت من نباتا في النوبة وحكمت كل من السودان ومصر فى آن واحد ما يقرب من خمسين عاما. (فيرنوس ويويوت، 1991).

ثم دخلت النوبة مرحلة جديدة مع انتشار المسيحية من خلال إعادة التنظيم الداخلي لتنقسم إلى ثلاث ممالك مستقلة مع منتصف القرن السادس الميلادي وهى:-

أ- مملكة نباتا أو نوباديا أو المريس[10] التى تقع بين الجندل الأول وحتى الجندل الثانى, حيث كانت عاصمتها في بلانة ثم انتقلت إلى فرس التي تعتبر أول مملكة تعتنق المسيحية لقربها من الحدود المصرية, التي وأسسها الملك سيلكو (**Adams, 1982**).

ب- مملكة مقرة التي تمتد من جنوب المملكة السابقة، أي من الجندل الثانى حتى الجندل الخامس وكانت عاصمتها دنقلة، وكان سكانها يقطنون الجانب الغربى للنيل فى القرن الثانى الميلادي، وكانت مقرة تنقسم إلى أقاليم تحكمها ولاة من قبل ملك النوبة(**Adams, 1982**).

جـ- مملكة علوة من جنوب الجندل الخامس إلى جنوب الخرطوم وعاصمتها سوبا، وهى بالقرب من ملتقى النيلين الأبيض والأزرق، وكانت هذه المملكة تنقسم إلى ولايات صغيرة و تعد أهم هذه الولايات على رأسها والى من قبل علوة يعرف بالرحراح، وهو نائب الملك المسمى والى الأبواب وله من المكانة كما لصاحب الجبل (**Grzymski, 2004**) ويعد ملك علوة أعظم من حاكم ماكوريا وله جيش أكبر وأقوى وتعتبر بلاده أكثر اتساعا وخصوبة من ماكوريا وكان هذا الملك يعتنق المسيحية حيث يتولى بطريرك الإسكندرية تعيين القساوسة وكانت الكتب الدينية المتداولة مدونة باللغة الإغريقية والتي كانت تترجم إلى لغة بلده.

إلا إن الاضطرابات داخل النوبة والهجرات العربية إليها، كان له أكبر الأثر في سقوط الممالك النوبية المسيحية، وقد زادت الهجرات إلى النوبة، خاصة بعد الحملة التي أرسلها الناصر محمد بن قلاوون عام 716هـ/ 1316م التي وصلت لدنقلة وأجبرت كرنبس وأخاه إبرام على الهرب جنوبا بالقرب من مملكة علوة ومن ثم صارت البلاد النوبية مفتوحة للعرب بعد سقوط مملكة مقرة (فايسر، 1989). ومع نهاية القرن الثالث عشر تم تحويل الكنيسة في دنقلة عام 1317م إلى مسجد، مما يؤكد وصول الدين الإسلامى إلى أقصى النوبة. وبانتهاء مملكة دنقلة فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى تخلت النوبة تماماً عن المسيحية (**Shinnie, 1965**) بعد أن ظل أهل النوبة يعتنقونها لمدة سبعة قرون وتحديدا حتى القرن الخامس عشر الميلادي، حيث استقر الدين الإسلامى في النوبة وأصبحت الديانة الرسمية. لتدخل في مرحلة جديدة لم تعد لهم فيها السيطرة الفعلية علي أراضيهم ولم يعد بمقدرتهم حكمها ذاتيا.

النوبة في العصر العثمانى

[10] **المريس: أطلق العرب عليها أرض المريس وعرف حاكمها بصاحب الجبل وهو يعين من قبل ملك النوبة ومسئولية منع أي شخص بالمرور بدون ترخيص بذلك. (الحويرى، 1996).**

مع أوائل القرن السادس عشر الميلادى أصبحت مصر جزءا من الدولة العثمانية (923-1212هـ/ 1517م- 1798م) والتى تم فتحها علي يد السلطان سليم الأول سنة 923هـ/ 1517م بعد تغلبهم على المماليك.(**الجبرتي، 1997**)، ثم وجه سليم الأول أنظاره إلى الجنوب بعد أن أصبحت هذه المنطقة ملجأ للمماليك الفارين من العثمانيين فأرسل السلطان سليم الأول حملة بقيادة حسن قوصى سنة 926هـ/ 1520م إلى النوبة الذي انتصر عليهم لذلك تم تعيينه واليا على كل إقليم النوبة تحت مسمى الكشاف[11] (**هريدى، 2006**)، وأتخذ من إبريم مقراً له, حيث اختلطوا بالنوبيين وتزوجوا منهم ليكون لهم الحق في امتلاك الأراضي والمساكن في نفس القرية ويتقلدوا الحكم (**دفع الله، 2002**).

ولقد عمل الكشاف كحكام لولايات مصر المختلفة منذ دخول مصر تحت الإدارة العثمانية, والذين وجدوا أن الولايات ذات الأهمية الخاصة بالنسبة للدولة بعيدة عن الإدارة المركزية خاصة كثرة القلاقل والاضطرابات التى كانت تسود منطقة النوبة والصعيد من وقت لآخر فإن الأمر تطلب تعيين أمراء سناجق فى منطقة إبريم[12]حيث تم تزوديهم بأعداد كافية من الجنود المسلحين بالبنادق والمدافع لتأمين حالة الاستقرار في تلك المنطقة (**السيد، 1997**). ولكن لم تستمر هذه الحالة بسبب ضعف السيطرة في بعض الأحيان على صعيد مصر، حيث قام الفونج[13] بمهاجمة النوبة حتى وصلوا بالقرب من أسوان.

وحين سادت الفوضى في البلاد فقد سارع سليمان باشا الخادم[14] أمير أمراء مصر (931-941هـ/ 1525- 1535م) بإرسال حملة بقيادة أوزدمير بك الذي توجه بأسطوله عبر النيل إلى الجنوب حتى تمكن من السيطرة على المنطقة وعلى قلعة ابريم[15]. ثم استمر حتى وصل إلي

[11] الكاشف: هو يقوم بالإشراف علي مجموعة من الوحدات الإدارية التى تقع داخل حدود الكاشفية، حيث يقوم بجمع الضرائب التى تعرف بالكشوفية لسد نفقات مرتب الكاشف ومرتبات العسكر وهى رتبة اقل من السنجق .

[12] سنجق: جمعها سناجق وهى تكتب بالسين أو الصاد، وهى كلمة تركية أطلقت في الأصل على الرمح، ثم أطلقت على الراية أو العلم، ثم على القسم الإدارى, ثم أصبحت هذه الكلمة تطلق على حاكم القسم الإدارى الكبير، بشرط أن يكون بدرجة بيك، وأصبحت السنجقية رتبة عسكرية عليا يتقلدها كبار الأمراء. وكانت وظيفة أمراء السناجق أن يشرفوا على الوظائف العسكرية والإدارية في المناطق التى يعينوا فيها.

[13] الفونج: هي قبائل قامت بتأسيس مملكة سنار (تقع علي النيل الأزرق وعلى بعد 280 كيلو متر جنوب الخرطوم), ولقد اختلفت الآراء حول أصل الفونج, فمنهم من قال إنهم من قبيلة الشلك التى هاجرت من منطقة بحيرة فيكتوريا ليسكنوا في السودان على شاطئ النيل الأبيض , وهناك رأي آخر هو أنهم من دارفور في غرب إفريقيا واحتمال آخر أنهم عرب ترجع أصولهم إلى بني أمية التى هربت من العباسيين بعد سقوط دولتهم واتجهوا نحو السودان عن طريق الحبشة. ولقد قام الفونج بالتحالف مع القبائل المجاورة لها وأسسوا مملكة سنار بقيادة عمارة دنقس (1505- 1534م) التى ظهرت منذ القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري)، وتعتبر مملكة سنار أول دولة عربية إسلامية قامت في بلاد السودان بعد انتشار الإسلام واللغة العربية فيها نتيجة لتزايد الوجود العربي والتصاهر بين العرب والنوبة في الشمال. (الحفناوي، 1982).

[14] تولى سليمان باشا الخادم ولاية مصر في عهد السلطان سليمان القانوني (926- 972هـ/ 1520- 1566م) الذي تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة والده السلطان سليم الاول.

[15] ابريم هي من قري النوبة وتقع علي الشاطئ الشرقي للنيل على مسافة 240 كيلو متر جنوبي أسوان, وبها القلعة التى سيطر عليها العثمانيين. [انظر: مبارك، الخطط التوفيقية, ج8, ص13].

ساي[16] التى كانت موجودة تحت نفوذ الفونج، ومنذ تلك الفترة وحتى عام 975هـ/ 1567م، أصبحت إبريم منطقة ملحقة بسنجق أسيوط.

وفي عام 981هـ/ 1573م ألحقت منطقة إبريم بإمارة الحبشة، وذلك لبسط التحكم العثمانى علي إمارة الحبشة التى فتحت حديثا والتى كانت مصدرا للاضطرابات في هذه المنطقة، ولأن إبريم قريبة من الحبشة وبعيدة عن مصر، فإن الأموال التى تجمع من ولاية الحبشة لم تكن تكفى لدفع مرتبات العسكر وجنود القلعة الجنوبية، وبحلول عام 983هـ/ 1575م فقد تم إعادة إبريم لمصر مرة أخري كإدارة سنجقية، ولم تفلح محاولات أمير أمراء الحبشة الذى تقدم بطلب إلى الأستانة لإعادة ضمها للحبشة مرة أخري على اعتبار أن المسافة بين سنجق إبريم وميناء سواكن تقدر بمسيرة 24 يوما، في حين أن المسافة بين إبريم والقاهرة تقطع مسيرة 54 يوما، الأمر الذي يجعلها غير مفيدة لمصر لبعد المسافة، غير أن الأستانة رفضت طلبه، وفي عام 991هـ/ 1583م ألحقت ولاية الصعيد بسنجق إبريم، وذلك لتأمين المناطق الجنوبية من هجمات الفونج (**السيد، 1997**).

ولقد اهتمت الإدارة العثمانية مع مطلع القرن 11هـ/ 17م بالتقسيم الإداري بضم النوبة تحت سنجق إبريم ووضع الاوجاقات العسكرية[17](**هريدي، 2006**). التى كانت تتخذ من القلاع مقراً لها في تلك المنطقة وهما: قلعة إبريم التى تحتوى علي ثلاثة بلوكات عسكرية، بحيث يضم كل بلوك منها من 10 إلى 11 فرد، أما قلعة ساي فتضم ستة بلوكات عسكرية وكل بلوك منها يحتوى على 10 أفراد، وكانت إدارة شئون الجند في كل قلعة بيد أغا الذي يعتبر هو الرئيس الإداري والعسكري للقلعة, كما يساعده في إدارة شئون القلعة والقيام بمهامها ويعرف بكتخدا[18](**الجبرتي، 1997**). كما تضم كل قلعة علي عدد من الجاوشية الذين يتأكدون من تنفيذ جند القلعة لأوامر الأغا والإدارة المركزية، كما تضم عددا من الكتبة المكلفين بتسجيل كل ما يتعلق بالقلعة. وبذلك دخلت النوبة ضمن التقسيم الإداري والقضائي العثماني على الولايات ومنها ابريم وساي، وكانت المنطقة القضائية تتشكل من عدد من القري التابعة لها، حيث يشرف قاض على كافة شئون المنطقة القضائية الخاصة بالأهالي وهو ما أظهرته الوثائق[19] **(Hinds, 1986)** التى عثر عليها في إبريم التى تغطى الفترة العثمانية الممتدة من 1029- 1171هـ/ 1620- 1759م وهي خطابات تحتوى

[16] ساي: أو صاي وتقع علي بعد 190 كيلو متر جنوبي بوهن، وهي تعرف من العصور القديمة لملوك المصريين القدماء.[انظر مهران، 1999].

[17] الاوجاقات العسكرية: مفردها أوجاق أو وجاق، وهو اسم أطلق على الموقد, ثم أطلق على الوحدة الأساسية من الفرق العسكرية، وكانت
الاوجاقات العسكرية في مصر في بداية العصر العثمانى, ويقوم على قيادتها الأغا وهو الشخصية المسئولة عن الفرقة ويعين من قبل الباب العالى.

[18] كتخدا: هي كلمة فارسية، والتى أطلقها الفرس على السيد الموقر، واقتبسها الترك ليطلقوها على الموظف المسئول والوكيل المعتمد، وهى تعنى وكيل. [الجبرتي، عجائب الإخبار، ص44.]

[19] لقد تم العثور علي وثائق بقصر إبريم ترجع للعصر العثمانى، وهى مجموعة وثائق خاصة بالأرض والزواج والنفقة والميراث.

على وثائق إدارية وعسكرية وبعضها مكتوب باللغة التركية وهى عبارة عن مراسلات للجنود متبادلة مع حامية جزيرة سای التى تقع إلى الجنوب من إبريم.

النوبة إبان الحملة الفرنسية على مصر

وفي نهاية القرن الثامن عشر الميلادى قاد نابليون بونابرت الحملة الفرنسية إلي مصر(1212-1216هـ / 1798- 1801م)، ثم وجه أنظاره نحو الصعيد بسبب هروب المماليك وهجوم العصابات، وهذا جعله يسعى لإعادة الضبط حيث قام بإرسال حملة بقيادة الجنرال لويس شارل دوزيه General Louis Charles Desaix في 25 أغسطس، ليصل أسوان في أوائل شهر فبراير سنة 1799م ثم توجه لجزيرة فيلة محاولا عبورها بواسطة قوارب الأهالى إلا أنهم رفضوا أن يسلموا للفرنسيين أي قارب أو مركب من مراكبهم, ولم يستطع الجنرال دوزيه دخول جزيرة فيلة في ذلك الوقت، وترك للجنرال بليار General Belliard مهمة الاستيلاء عليها **(Shaw, 1966)** بعد رجوعهم إلى أسوان مرة أخري.

ولكن فكرة احتلال جزيرة فيلة كانت تسيطر علي الجنرال بليار، فحاول على مدار الأيام أن يحقق هدفه بالاستيلاء عليها، وهو ما جعله يفكر في وسيلة ليعبر بها هو وجنوده نهر النيل إلى الجزيرة، غير أنه لقى مقاومة شديدة من النوبيين الذين كانوا مصممين على الدفاع عن أراضيهم، ولم تتوقف مقاومتهم إلا عندما تم الاستيلاء على الجزيرة بالقوة، وقد نقل الطوخي وصف الجنرال بليار في يومياته هذه المقاومة فقال "حمل الأهالى أسلحتهم وصاحوا صيحات القتال، وخرجت النساء ينشدن أناشيد الحرب، ويقذفن التراب في وجوهنا، أما الرجال فأطلقوا الرصاص على رجالنا الذين ركبوا البحر، وكنت قد أحضرت معى مدفعا لإرهابهم فدعوتهم إلى الصلح والسلام، فكان جوابهم أنهم لا يقبلون منا كلاما، وأنهم لن يفروا أمامنا كما يفر المماليك واستأنفوا إطلاق الرصاص، فجرح ثلاثة من رجالنا, وفي المساء حاولنا أن نتخذ من جذوع النخل وسيلة لعبور الجنود إلى الجزيرة، وعندما قمنا بتنفيذ ذلك في الرابعة صباحا غمرت المياه جذوع النخل، فاضطررنا يوم 19 فبراير أن نؤجل احتلال الجزيرة واستجلبت من أسوان بعض ألواح الخشب للعبور عليها" **(الطوخي، 1997)**.

وفي اليوم التالي الموافق 20 فبراير 1799م نجح الجنرال بليار وجنوده في الوصول إلى الجزيرة، بعد مواجهة مع الاهالى الذين تبادلوا إطلاق نيران البنادق، ولكن لم تحدث إصابة في الجانب الفرنسي الذى نجح فى الاستيلاء على كل ما في الجزيرة، ثم سيطر على الجزر المجاورة لجزيرة فيلة في اليوم التالى، وكانت نتيجة أحداث هذين اليومين أن قتل الفرنسيون واحد وثلاثين رجلا من النوبيين واستولوا على 200 بندقية و200 من الطبنجات والسيوف وكميات كبيرة من التمر واللحم.

ولقد تبين للعلماء الفرنسيين الذين صاحبوا الحملة أن تلك المنطقة تخضع للسيطرة العثمانية وإن كانت تتركز في بعض الأماكن، ويقوم بإدارة القرى قضاة يقومون بحل المنازعات حيث يلجأ أهالي

النوبة إلى المحكمة المخصصة لذلك. ورغم أن الفترة التى أقامت فيها الحملة بالنوبة لم تتجاوز بضعة أيام، إلا أن العلماء انتهزوا الفرصة لدراسة الآثار القديمة بتلك المنطقة. وتجدر الإشارة أنهم لم يتمكنوا من رصد معظم ما يتعلق بحياة النوبيين كما فعلوا فى أنحاء مصر عندما وضعوا كتاب وصف مصر **(كوستاز، 1978)**.

النوبة خلال حكم أسرة محمد على:

ومع بداية القرن التاسع عشر الميلادي، أمر محمد على (1219- 1265هـ/ 1805- 1849م) حاكم مصر بغزو النوبة وذلك لعدة أسباب منها توسيع سلطاته في الجنوب واكتشاف منابع النيل والتخلص من قادة المماليك الذين هربوا سنة 1226هـ/1811م إلى الجنوب، وبهدف الاستعانة بالنوبيين في الجيش المصري. كما كان يهدف إلى التحكم في الطرق التى تؤدي إلى إفريقيا, والكشف عن المناجم **(ماكيفيدى، 1987)**.

وكان محمد على قد قام باستبدال كشاف العصور العثمانية بموظفين أخريين أطلق عليهم الكشاف الجدد، بالإضافة إلى ذلك انقض محمد على زعماء المماليك في عام 1811م بالقاهرة مما جعل الكثير من المماليك يهربون إلى الجنوب ليقوموا بأعمال تخريب وتدمير, كما حاولوا تحدى سلطة الكشاف الذي عينهم محمد على في بلاد النوبة بمنطقة قصر إبريم، مما جعل محمد على يعمل على إرسال حملة إلى هذه المنطقة ليسيطر عليها ويتحكم في مناجم الذهب التى سمع عنها، ويقوم بضم شباب تلك البلاد إلى جيشه لما عرفوا بالبسالة والطاعة والتخلص من جنود الألبانيين الذين ارتكبوا جرائم نهب وسلب وكانوا مصدرا للمتاعب، كما إنه أراد أن يتخلص من بقية المماليك الذين فروا إلى تلك البلاد **(رفعت، 1943)**.

وعندما علم المماليك بهذه الحملة هربوا إلى النوبة حتى وصلوا إلى دنقلة مسببين الخراب والدمار في كل منطقة يعبرون منها، فيذكر الرحالة جون لويس بوركهارت Burckhardt أن المماليك في أثناء هروبهم في مايو 1227هـ/ 1812م من جيش محمد على إلى الجنوب، وكانوا يدمرون كل قرية يمرون عليها، ويذكر أيضا أن المنطقة الممتدة من الدر حتى توشكي كانت تتميز بالثراء بفضل بيع البلح والإعفاء من الضرائب ولكن قام المماليك بالاستيلاء على كل ممتلكات سكان النوبة ثم فروا إلى أقاصي السودان وبعد تقهقرهم إلى الجنوب تفشت مجاعة رهيبة هلك فيها ثلث سكان النوبة.

وفي سبتمبر سنة 1234هـ/ 1819م قام محمد على بزيارة إلى الجنوب بصحبه حسن باشا قائد الجنود، حيث وصل إلى ما وراء الجندل الأول جنوب أسوان ليتفقد مواقع جنوده ويرسم خطط الزحف، ثم عاد إلى الجيزة في 15 نوفمبر سنة 1819م بغية إعداد الحملة إلى السودان **(الرافعى، 1989)**.

وفي عام 1820 أرسل محمد على حملة الى تلك البلاد بقيادة إسماعيل باشا ثالث أبنائه, حيث سارت الحملة (1235- 1237هـ/1820- 1822م) التى تضم 4000 مقاتل إلى الجنوب. وكما ذكر المسيو فريدريك كليود Cailliaud العالم الفرنسي الذي صاحب الحملة فإن الحملة أثناء سيرها انضم إليها 1400 مقاتل ليبلغ عدد جنودها 5400 مقاتل ومعهم 24 مدفعا، كما أرسل محمد على حملة أخري بقيادة محمد بك الدفتردار[20] **(الجبرتي، 1997)** نسيبه ومعه 4000 مقاتل لفتح كردفان. لقد استقل الجنود المراكب من أسوان وحتى وادي حلفا بينما وصل الفرسان برا بمحاذاة النيل في أثنى عشر يوما وأقامت الحملة لمدة عشرين يوما في وادى حلفا حتى اجتازت المراكب الجندل الثانى حتى وصلت إلى دنقلة، ثم تحرك إسماعيل باشا نحو جنوب دنقلة في فرقة تتكون من 800 جندي وكانت بقية الحملة متأخرة بسبب صعوبة عبور المراكب للجنادل، حيث خرجت عليه قبائل تعرف بالشايقية في 4 نوفمبر 1820م[21]**(سعد، 2011)**، حيث انقضوا على جنود إسماعيل باشا وقتلوا 75 جنديا واشتبك معهم في معركة استمرت لمدة ثلاث ساعات وانتهت بهزيمة الشايقية بعد أن ضربهم بالمدافع، وقد أبدوا بسالة في حربهم ضد إسماعيل باشا فى معركة عرفت باسم "معركة كورتى" لان كورتي هى عاصمة الشايقية التى تقع على الضفة الغربية من النيل مما دفعه إلى ضمهم إلى الجيش بعد انتهاء القتال **(الرافعي، 1989)**.

ثم أكملت الحملة طريقها لتصل إلى شندى في 8 مارس 1236هـ/ 1821م حيث قدم ملكها نمر ولاءه وسار إسماعيل باشا لفتح البلاد الواقعة على النيل الأزرق لكن فى سبتمبر 1821م واجهته أمراض أدت إلى وفاة ستمائة مقاتل ثم زاد عدد المرضى إلى 1500 مقاتل في أكتوبر ثم 2000 مريض، وما كان من محمد على إلا أن قام بإرسال حملة أخري لمعاونة إسماعيل باشا بقيادة أخيه الأكبر إبراهيم باشا الذي جلب معه الأطباء مما أنعش الجيش ثم اتفقا على تقسيم العمل بينهما، فسار إبراهيم نحو النيل الأبيض بينما سار إسماعيل في إتجاه النيل الأزرق، غير أن إبراهيم استبد به المرض مما اضطره إلى العودة مرة أخري إلى مصر. ثم سرعان ما أرسل إسماعيل يطلب العودة إلى مصر بعد أن بقي في الأراضي السودانية لمدة عامين (1237هـ/ 1822م)، في تلك الأثناء أمر إسماعيل بضرورة مثول الملك نمر ملك شندى أمامه في أكتوبر سنة 1822م لتدبيره ثورة ضدهم وقام بإهانته مما جعل الملك نمر يدبر للانتقام فقام بدعوة إسماعيل باشا على وليمة ومعه جنوده وفى نهاية هذه الجلسة أمر نمر أتباعه بوضع الحطب وإحراق المنزل عليهم حتى

[20] الدفتردار: هو يتولى إدارة الشئون المالية في مصر ويكون مسئولا عن ضبط الخراج والدخل ويوضع تحت يده سجلات الأراضي الزراعية والجمارك.

[21] الشايقية: هى قبائل تنتسب للجعليين الذي يقال إنهم ينتسبون إلى إبراهيم الملقب بجعل من نسل العباس عم النبي صلي الله عليه وسلم, وإنهم هاجروا إلى الجنوب في القرن الخامس عشر الميلادى ليرتكزوا على النيل الأعظم جنوب الخرطوم حاليا، ثم انقسمت لعدة قبائل منها الشايقية الذين أقاموا مملكتهم على أطلال مملكة نباتا القديمة والتى امتدت من الجندل الرابع إلى ابي دوم قشابي ومركزها مروي، وهى مملكة عربية اشتهر أهلها في السودان بالشجاعة وحب الغزو.

أحرقهم جميعا وتوفي إسماعيل باشا حرقا، وما أن علم محمد بك الدفتردار بالأمر حتى قرر الزحف إلى شندى وأمر بقتل 2000 شخص فدية لإسماعيل إلا أن الملك نمر هرب منه ولم يستطع القبض عليه ولكنه فرض السيطرة الكاملة على تلك المنطقة **(شاروبيم، 1998)**. وبعد سيطرة محمد على باشا على السودان قام بتعيين حاكم يطلق عليه حكمدار السودان[22] **(السروجي، 1998)** وتتبع إدارته ديوان الداخلية بمصر وأصبحت مدينة الخرطوم في عهده عاصمة السودان ومقر الحاكم، حيث تم تقسيم البلاد إلى مديريات تحت إدارة الحكمدار وقسمت المديريات إلى أقسام لكل قسم ناظر وبلغ عدد المديريات في فترة محمد على سبع مديريات.

وعاد محمد على يفكر في تجنيد السودانيين على اعتبار أن ذلك كان أحد الأسباب الرئيسية للسيطرة علي السودان, لذلك أمر بإنشاء مدرسة المشاة العسكرية في سنة 1820م, ووضع تحت إدارة جوزيف سيف[23] Joseph Seve، الذي طلب من محمد على في أكتوبر 1821م نقل هذه المدرسة إلى الوجه القبلي، فوقع الاختيار على أسوان حتى تكون قريبة عند إرسال العبيد لإلحاقهم بالتجنيد، والذين لم يقل عددهم عن ثلاثين ألفاً, وهكذا كانوا يرسلون إلي أسوان ليعتنى بهم سيف في المدرسة العسكرية, حيث وفر لهم خدمة صحية بإعطائهم المصل الواقى من الإمراض الوبائية عند وصولهم, كما أعد مستشفي للعناية بمرضاهم, ولكن جميع هذه الجهود وكل تلك العناية لم تستطع إبقائهم على قيد الحياة، وزاد عدد الأموات بين الجنود مما جعل محمد على ينزعج ويقوم في النهاية بتجنيد الفلاحين من أهل مصر **(شكري، 1948)**.

ولقد أدت هذه الحملات إلى اضطرابات في النوبة طوال القرن التاسع عشر، حيث يذكر فرنيا من خلال روايات الرحالة في تلك الفترة أن الرحالة جيمس اوجست سانت جون زار النوبة في عام1247هـ/ 1832م إلى أعال النيل جنوب أسوان حيث وجد أناس فقراء شبه عرايا في منازل مؤقتة دمرتها غارات المماليك **(فرنيا، 2003)**.

وقد قام محمد على برحلة إلى السودان فى الفترة من (26 رجب 1254هـ– 28 ذو الحجة 1254هـ), 15 أكتوبر سنة 1838م إلى 15 مارس 1839م/ ليرى المناطق التى تعيش تحت سيطرته ونفوذه، فسار في أكتوبر 1838م إلى دنقلة ثم إلى الخرطوم ثم أقام لمدة 22 يوما يتفقد أحوال البلاد ثم عاد إلى مصر عن طريق النوبة وصولا إلى وادى حلفا في مارس 1254هـ/ 1839م واستمرت رحلته لمدة خمسة أشهر رافقه خلالها كل من المسيو دارنوا D.Arnaud والمسيو لامبير Lambert، لتصل حدود مصر في عهد محمد علي إلى حدود الحبشة جنوبا في

[22] حكمدار السودان: هو منصب يتولي السلطتين العسكرية والمدنية ويخضع لديوان نظارة الداخلية بالقاهرة.

[23] جوزيف سيف: من مدينة ليون (1788- 1860م) قدم إلى مصر سنة 1819م وطلب الالتحاق بخدمة محمد على الذي عهد إليه البحث في مناجم النوبة ورغم أنه لم يستطع التوفيق في التنقيب, إلا أنه خلال الخمسة شهور التى قضاها في أعمال التنقيب استطاع أن يدرس عادات أهلها وأحوالهم.

النيل الأبيض إلى جزيرة دنكا أمام غندكرو التى انتهى فتوحاته عندها. وعندما تولي إبراهيم باشا حكم مصر (1264هـ) ابريل 1848- نوفمبر 1848م، ظلت الحالة في السودان خلال حكمه كما كانت في عهد والده، أي ظلت بلاد السودان كما هى بحدودها وإدارتها. وخلفه في الحكم عباس باشا الأول ابن طوسون بن محمد علي باشا (1264- 1270هـ/ 1848- 1854م)، الذي لم يهتم أو يفكر في السودان أو فى زيارتها، كما فعل محمد على ولم يول اهتماما بإدارتها، ولا بأية أعمال سياسية إزاء السودان سواء محاولة تثبيت الأمن وتدعيم الإدارة في المناطق التى تحت الحكم المصري (**السروجى، 1998**)، ثم خلفه سعيد باشا (1270- 1279هـ/1854- 1863م) الذي أظهر اهتمامه بالجنوب من خلال قيامه بزيارتها مثل والده، بمصاحبة بعض من أعوانه منهم المسيو فرديناند دليسبس الذي وصل إلى الخرطوم في 16 يناير 1857م (1273هـ) وتفقد شئون البلاد وقام بالعديد من الإصلاحات بالسودان، حيث أنشأ محطات في كروسكو، لتسهيل نقل البريد بين مصر والسودان، ولقد حاول إعادة التنظيم في تلك المنطقة بإلغاء منصب حكمدار السودان وجعلها خمس مديريات دنقلة- الخرطوم- سنار كردفان- بربر, بحيث تخضع مباشرة للسلطة المركزية في القاهرة تحت حكم الوالى. الجدير بالذكر أن هذا النظام جعل مديري الأقاليم مستقلين عن السلطة المركزية مما أسفر عن استبدادهم وظلمهم للأهالى، فألغى سعيد باشا استقلالهم وأعاد منصب حكمدار السودان (**الرافعي، 1987**).

وهذا جعل والى مصر الجديد إسماعيل باشا (1279- 1296هـ/ 1863- 1879م)، أن يقوم بإعادة التنظيم الإداري للمنطقة بتقسيم منطقة الشمال لمديريتين دنقلة وبربر تتبعان من الناحية الإدارية نظارة الداخلية بالقاهرة بسبب قربها من مصر، على أن تخضع باقي المديريات تحت حكم حكمدار السودان بالخرطوم. ولقد أتم فتح السودان وفرض الحكم المصري حتى أوغندا في أفريقيا وسيطر على حدود السودان شرقا على سواحل البحر الأحمر، غير أنه استعان بالانجليز الذين سرعان فرضوا نفوذهم لدي الباب العالى ليصدر أمرا بعزلة وتولية ابنه توفيق باشا (1296- 1309هـ/ 1879- 1892م).

ولقد انشغل الخديوي توفيق بالاضطرابات التى تحدث في مصر نتيجة قيام الثورة العرابية (1298- 1299هـ/ 1881- 1882م)، بالإضافة لضعف حاكم السودان في تلك الفترة ويسمى محمد رؤوف باشا[24] (**الرافعي، 1989**) الذي لم يستطع السيطرة على السودان, لذلك انتهز رجل

[24] محمد رؤوف باشا: تولى حكم السودان بعد غوردون باشا أخر الولاة في عهد إسماعيل باشا، وهو المسئول عن إدارة شئون السودان سنة 1881م.

يدعى المهدي المنتظر الفرصة للقيام بثورة عرفت بالثورة المهدية[25] التى قضت على نفوذ مصر بالسودان (**رفعت، 1943**).

وهذا جعل الحكومة المصرية غير قادرة للتفرغ للمهدية، الأمر الذى أعطى فرصة لانجلترا لتقديم الدعم للثورة المهدية لشعورها بضعف الحكومة المصرية فى السودان والتى طلبت إخلاء السودان وسحب الجنود المصريين منها، ولقد وافق الخديوي توفيق في 8 ربيع الأول 1301هـ/ 7 يناير سنة 1884م على إخلائها. ومنذ تلك الفترة بدأت تحدث اضطرابات متتالية في المنطقة الواقعة من فيلة وحتى وادي حلفا, حيث انتشرت الأمراض مما دفع الكونيل دونكان[26] Colonel Duncan إلى إرسال خطاب في 24 يونيه 1884م إلى السير آفلين وود[27] Sir Evelyn Wood بخصوص إرسال الأدوية التى يطلبها أهالي الجهات الواقعة بين فيله ووادي حلفا[28]. ثم قامت الحكومة المصرية بتنفيذ طلب الانجليز بجعل حدودها الجنوبية عند وادي حلفا، حيث أخلت دنقلة وقررت الحكومة في يونيه سنة 1302هـ/ 1885م فصل البلاد التى تقع بين أسوان ووادي حلفا عن مديريات إسنا وجعلتها تحت الإحكام العسكرية تسمي مديرية الحدود.

ونتيجة لهذه القرارات فإن الاضطرابات قد زادت في هذه المنطقة، مما أدت إلى ظهور قاطعي الطرق الذين يقومون بالاستيلاء على كل ما يعبر على شاطئ النيل ما جعل الاهالى يشعرون بالخوف والقلق خاصة سكان البلاد الواقعة من كرسكو إلى أسوان. لذلك طلب الأهالي من نائب سردار الجيش المصري حمايتهم ولكن الظروف التى ألمت بالجيش المصرى حالت دون تحقيق هذا المطلب، لذلك تم إرسال طلب في 26 مايو 1887م (1304هـ) لرئيس مجلس النظار[29] لتقديم دعم مالى لتشكيل فرقة هجانة لحماية تلك البلاد ومراقبتها جيدا، خاصة مع تقليل عدد الجيش، الأمر الذى جعلها غير قادرة علي تأدية مهمتها، لذلك طلب تخصيص مبلغ لهذه المهمة (**الرافعي، 1987**) وبعد أخذ رأي المالية تقرر في 30 يونيه 1887م اعتماد المبلغ المطلوب لتشكيل فرقة هجانة بين أسوان وكرسكو[30].

[25] الثورة المهدية: لقبوا أيضا " بالدراويش " وقامت هذه الثورة لعدة أسباب منها منع تجارة الرقيق وسوء معاملة الموظفين للأهالي والتشدد في جمع الضرائب، كما كان لقيام الحركة العرابية تأثير لقيام الحركة المهدية التى قادها محمد احمد بن عبد الله الشهير بالمهدي، الذى ولد في دنقلة عام 1848 وأرسله والده ليتعلم صناعة بناء السفن في سنار لكنه ترك التعليم وانضم إلى أحد الدراويش ليتلقي على يده تعاليم القراءة والكتابة وبعض أصول الدين ثم ترك الخرطوم وذهب إلى جزيرة آبا على النيل الأبيض، حيث اعتكف وذاع صيته.

[26] الكونيل دونكان هو قائد القوات في مصر العليا وكان مقره في أسوان وتحت قيادة السير أفلين وود.

[27] السير أفلين وود قام الخديوي توفيق في 16 يناير سنة 1883 بإصدار مرسوم بتعيين السير كأحد قادة الحملة الانجليزية سردار (قائد عاما) للجيش المصري ورئيسا لأركان حربه ومنحه رتبة فريق, فصار يعرف وود باشا, وهو أول سردار إنجليزي للجيش المصري.

[28] دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الأرشيفي 0075-013400, 24/ 6/ 1884.

[29] لقد أصر الخديوي إسماعيل في 28 أغسطس 1878م, قراراً بإنشاء مجلس النظار, وأطلق علي الوزير اسم " الناظر" وعلى الوزارة اسم " النظارة" فكان يقال نظارة المالية ونظارة الداخلية وهكذا, ويطلق على مجلس الوزراء اسم مجلس النظار, وقد تولي نوبار باش مسئولية الحكم من (1878- 1879) ثم تولها مرة أخري في عهد الخديوي توفيق من (1884- 1888م). ولما تولى السلطان حسين كامل عرش مصر (1914- 1917م) أطلق الأسماء الوزارة بديلا للنظارة والوزير بدل الناظر.

[30] دار الوثائق القومية بالقاهرة, وثائق مجلس الوزراء, الكود الأرشيفى 0075-031861, 30/ 6/ 1887.

ولم تمر إلا بضعة أعوام على ترك الحكومة المصرية السودان وترسيم الحدود بعد قيام الثورة المهدية التى وجهت أنظارها إلى شمال السودان للسيطرة على هذه المنطقة، حتى قام عبد الله التعايشي[31] **(شاروبيم،2003)** خليفة المهدى في (30 جمادي الأخر 1305هـ/ 13 مارس 1888م) بإرسال حسن محمد العبادي على رأس قوة بلغ عددها نحو المائتين شخص من قبيلة العبابدة إلى الجهات الواقعة بين حلفا وأسوان وخاصة الجهات الخالية من النقط العسكرية بغية استمالة أهالي تلك المنطقة أو إخضاعهم بالقوة، وقاموا بقطع خط التلغراف.

وفي 22 مارس 1888 اتجهت هذه القوة إلى العلاقي ثم استمرت حتى وصلت بالقرب من كشتمنة شرق ثم قامت باستدعاء مشايخها وأعيانها، فتوجهوا إليها وطلبت منهم طاعة المهدية ولخوفهم مما قد يترتب إذا رفضوا ذلك أبدوا موافقتهم ثم أمروهم بالعودة إلى قريتهم على أن يكونوا على أهبة الاستعداد فى حالة استدعائهم، وبعد ذلك اتجهت القوة إلى قرية قرشة حيث قامت بسلب المواشي والأغنام وأخذت معهم بعض الأشخاص من السودانيين كانوا بهذه البلدة، كما قامت بإطلاق النار على إسماعيل يونس عمدة القرية الذى أصيب في فخده ثم نزلت إلى قرية المحرقة وقامت بسلبها أيضا من المواشي والأغنام ثم توجهت إلى الجبل الذي يعتبر أقرب الأماكن لتلك البلاد وحتى تعاود السطو علي بعض النواحى كما حصل لمن سلف ذكرهم. وبسبب هذه الهجمات وحالات السطو فقد قام مشايخ وأعيان ناحية توشكى التابعة لقسم حلفا بتقديم طلب في 26 مارس 1888 لوضع نقطة عسكرية في بلادهم حتى ينعموا بالأمن والأمان, لقد طالما عانت القرى النوبية من انعدام الأمن على أراضيها. فقد تعرضت ناحية أرمنا المجاورة لقري توشكى لعمليات إجرامية حيث قتل أحد أعيانها يدعى محمد القراشى وتعرضت المنطقة لعمليات سلب ونهب وقطع أسلاك التلغراف[32]. لذلك قررت الحكومة المصرية في 26 أبريل 1888م (1305هـ) أن تجعل هذه المنطقة (أي من أسوان وحتى وادي حلفا) منطقة عسكرية تحت قيادة الكونيل ودهوس Wodhouse والذي عين كومندان الحدود ومقره وادي حلفا.

وبسبب هذا القرار فقد تمتعت هذه المنطقة بالسكينة وإن لم تستمر لفترة طويلة, حيث أعد التعايشي قوة لغزوها من جديد بقيادة عبد الرحمن النجومى أحد أشهر قادة المهدي, والذي قام في (3 ذو الحجة 1306هـ/ 31 يوليه 1889م) بمهاجمة خور (يعرف بخور موسي باشا)[33]، وكانت معركة عنيفة أستطاع المصريون أن يحرزوا النصر وعادت القوة المصرية إلى توشكى بعد أن قتلوا

[31] بعد أن توفي المهدي في 22 يونيه 1885, وتولى حكم السودان من بعده عبد الله التعايشى هو عبد الله محمد أدم تورشين, الذي وجد شهرة المهدي ذهب إليه في جزيرة آبا، ولقد قربه المهدي إليه وعينه خليفة له في 21 يونيو 1885م، وفي عهد التعايشي هاجم سواكن في سبتمبر 1888م ودارت بينه وبين الجيش المصري واحتل دنقلة ثم تقدم حتى وصل إلى خور موسي باشا جنوبي وادي حلفا في أغسطس 1888م. وفي 2 يوليو 1889م هاجم جنوب أسوان عند توشكي ولكن تصدت له القوات المصرية التى انتهت بهزيمته ولقد قتل في 24 نوفمبر 1889م، لتنتهي المهدية بعد ذلك.

[32] دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى، 0075-003421, 22/ 3/ 1888.

[33] يقع على شاطئ النيل جنوبي وادي حلفا، وهذا الخور هو نهاية إقليم دنقلة من الشمال.

سبعين رجلا من العدو في هذه المناوشة وأسروا منهم عددا يتراوح من 70 إلى 80 أسيرا، أما خسائر القوة المصرية فقد كانت عبارة عن إصابة ضابطين وستة أفراد وأربعة من الخيول[34].

ورغم الهزيمة التى نالها عبد الرحمن النجومى، إلا أنه زحف بقواته بعدها بعدة أيام حتى وصل إلى توشكى، فبعثت الحكومة قوة من الجنود تحت قيادة السير فرنسيس جرنفيل باشا Sir Francis Grenfell (**الرافعى، 1989**) الذي طلب منه الاستسلام فرفض النجومى, وفي (6 ذو الحجة 1306هـ/ 3 أغسطس سنة 1889م) بدأت المعركة في توشكى والتى قتل فيها النجومى وبلغ عدد القتلى من قواته حوالى 1500 رجل، واستولى الجنود المصريون على كمية كبيرة من البنادق والمزاريق وخمسين علما من أعلامهم، كما تتبع الفرسان أثر الفارين. لقد بلغ عدد خسائر الجنود المصريين حوالى 21 قتيلا و 131 جريحا توفي أربعة منهم[35]. ولما كان لهذه المعركة الأثر الأكبر على تفكك وانحلال قوة المهديين, فلقد أقامت الحكومة المصرية ضريحا لشهداء هذه الواقعة في توشكى، ولقد زار الخديوي توفيق هذا الضريح في رحلته لمنطقة النوبة سنة 1308هـ/ 1891م، تكريما لهؤلاء الشهداء.

وبعد وفاة الخديوي توفيق تولى حكم مصر الخديوي عباس حلمي الثانى (1309- 1332هـ/ 1892- 1914م)، والذي زار النوبة أيضا في 14 جمادي الأخر 1309هـ/ 15 يناير سنة 1894م، حيث رست باخرته بجزيرة فيلة وعندما فوجئ بعض النوبيين بتشريف جناب الخديوي لتلك المنطقة ألقوا بأنفسهم في مياه الشلال وذلك رغبة منهم في إظهار براعتهم فى السباحة ففرح الخديوي كثيرا لذلك وأمر لهم بمبلغ من المال وزع عليهم، ثم تحركت باخرة الخديوى حتى وصلت إلى كلابشة فرسي بها وكان في انتظاره السردار كتشنر باشا. ولقد فرح الأهالى بقدومه وأخذوا يهتفون ويغنون ويطلقون البنادق، وقد قام الخديوي بالاجتماع بعمد المديرية ومأموري المراكز وبعد ذلك توجه لزيارة معبد كلابشة[36]. ثم استمرت رحلة الخديوي قاصدا إلى سرس[37] حيث استعرض الجنود ثم تفقد أحوال النظام بهذه المنطقة، بعد ذلك استعد للعودة في 20 يناير إلى وادي حلفا ليتفقد أماكن الجنود ومساكنهم التى تمتد على مسافة كيلومترين بين حلفا وقرية التوفيقية. ومع يوم الأحد 21 يناير غادر الخديوى وادي حلفا[38] عائدا إلى قرية الجنينة للتوقف لأخذ الخادمين اللذين كان مصرح لهما برؤية أهلها ثم استكملت الرحلة حتى وصلت ناحية السيالة, حيث تقابل الخديوي مع أعيان الناحية، ثم استمر حتى وصل إلى أسوان.

النوبة بعد ترسيم الحدود

[34] الوقائع المصرية، العدد رقم 88، 3/ 8/ 1889.
[35] الوقائع المصرية، العدد رقم 89، 5/ 8/ 1889, ص2224.
[36] الوقائع المصرية، العدد رقم 7، 17/ 1/ 1894, ص52.
[37] سرس تقع جنوبي وادي حلفا وشمالي سمنة وقمنة وبها حصن كان يسمى قامع البلاد.
[38] لمزيد عن احتفالات أهالي حلفا بقدوم الخديوى عباس الثانى. انظر: جريدة المؤيد، العدد رقم 1195, 29/ 1/ 1894.

ومن خلال رحلته أراد أن يتفقد أحوال المنطقة الإدارية وشهد مدي فقر أهالى المنطقة خاصة وهى تقع تحت الأحكام العسكرية، بل وزادت معاناتهم بعد تدخل الإنجليز لترسيم الحدود بين السودان ومصر, خاصة بعد اجتماع لورد كرومر برئيس مجلس النظار مصطفي فهمى باشا وبطرس باشا غالي ناظر الخارجية المصرية ليضعوا أسس العلاقة بين حكومة جلالة ملكة الانجليز وحكومة الجناب العالي خديوى مصر بشأن إدارة السودان, وهذا الاتفاق عرف بإتفاقية الحكم الثنائى في (7 رمضان 1316هـ/ 19 يناير 1899م)، وهي التى قسمت مصر والسودان ومن نصوصها رجوع الحد المصري عند خط عرض 22 عند شمال حلفا التابعة للسلطة المصرية[39] **(شاروبيم، 1998)** وبذلك فصلت النوبة ليكون الجزء الشمالى تابع لمصر والجزء الجنوبي تابع للسودان بعد أن كانت كيانا واحدا وبذلك لم يعد أهالي النوبة المصرية يستطيعوا أن يذهبوا جنوبا مما كان له أثرا سلبيا علي حياتهم الاقتصادية[40].

ورغم ذلك لم تنفذ الاتفاقية إلا في (1316هـ)/ مارس 1899م بين كمندان حلفا و ممثل هيئة الأراضي للحكومة المصرية، حيث تقرر أن تكون نهاية حدود بلاد السودان شمالا من الجهة الغربية علي مسافة 200 متر بناحية فرس والجهة الشرقية على الحدود من ناحية أدندان[41] وتم ذلك في وجود عمد ومشايخ فرس وأدندان ومأمور لجنة أملاك الميري ومعاون بوليس مركز حلفا وكومندان حلفا وضابط بوليس التوفيقية بالنيابة عن حكومة السودان، حيث تقرر في 14 مارس أن تصبح ناحية فرس تابعة للحكومة السودانية بينما ناحية أدندان أصبحت ضمن حدود مصر، **(شاروبيم، 2003)** ومنذ تلك الفترة قسمت منطقة النوبة المصرية بأن جعلت الأربعين قرية الباقية تنقسم إلى مركزين حلفا والكنوز على أن ينقل مركز حلفا إلى كروسكو وسميت باسم البلد وألحقت به أثنين وعشرين قرية ونقلت مركز الكنوز إلى أبوهور وأتبعت به ثمانى عشرة قرية وسمى باسم أبوهور ووضعت كلها تحت هيمنة مديرية أسوان[42].

ثم أصدرت نظارة الداخلية المصرية قراراً في (14 ذو القعدة 1316هـ/ 26 مارس 1899م) بأن تكون محافظة النوبة بعد أن انضمت عشر قري إلى الحدود السودانية، على أن بقية هذه المحافظة تحت الحكم العسكري وهذا جعلها أقل المناطق حظاً من الإصلاح وأكثرها شقاء بل وزاد سكانها فقرا وكانوا محرومين لفترة طويلة من ثمار التقدم التى حدثت فى المناطق الأخرى من بقاع

[39] لقد وضعت اتفاقية الحكم الثنائي بين ممثلين عن دولة انجلترا اللورد كرومر والجانب المصري بطرس غالي, وهى تمثل اتفاقية حول إدارة السودان ومن بنودها فصل الحدود المصرية عن السودانية، ويرفع أعلام الدولتين بالسودان, وان تكون إدارة السودان في يد حاكم عموم السودان الذي يعينه الخديوى ولكن بناء علي طلب من حكومة الانجليزية، كما تحكمت فى الواردات من البضائع للسودان أو الصادرة منها.

[40] الوقائع المصرية، العدد رقم 9, 19/ 1/ 1899, ص125- 128.

[41] لقد أدى هذا التقسيم إلى ضم أراض إلي الحدود السودانية ودخلت في زمامها تسعة وتسعين فدانا زراعيا ومائة وخمسة وخمسين نخلة من زمام أدندان وفرس.

[42] جريدة مصر، العدد 949، 23/ 3/ 1899.

مصر[43]. ويؤكد لنا ما تعانيه هذه المنطقة إميل لودفيج Emil Ludwig عندما زار النوبة في مطلع القرن العشرين في المنطقة الواقعة بين وادي حلفا وأسوان على امتداد 350 كيلو متر, وجد أن أهلها أفقر أجزاء مصر وأشدها وحشية ونادرا ما تجد أراضي مزروعة **(لودفيج، 1997)**.

ونتيجة لمعاناة تلك المنطقة، حيث ضعفت عملية الزراعة التى كانت عبارة عن شريط ضيق لا يتعدى عشرات الأمتار وتوقف حركة التجارة مع الجنوب، فقد اضطر معظم الأهالى إلى الهجرة إلى القاهرة والإسكندرية وبعض المدن الأخرى, حيث كان عدد سكان كروسكو في (17 شعبان 1319هـ/ 29 نوفمبر 1901م) حوالى 750 نسمة ثم قل العدد ليصبح 150 نسمة نتيجة لهجرة الباقين بسبب ضعف سبل المعيشة في بلادهم, وما حدث فى هذه القرية تكرر في بقية القري من أسوان إلى حلفا لأنها متشابهة في الوضع الجغرافي وفي كل وسائل المعيشة[44].

ويتضح أن معاناة منطقة النوبة بدأت منذ هروب المماليك من العثمانيين إليها وقيامهم بعمليات السلب والنهب والقتل حتى خربت بعض القري النوبية، بالإضافة إلى الإمراض التى كانت تفتك بهم، ثم هجمات المهديين الذين توغلوا بها وقاموا بعمليات سلب وقتل في كل بلدة يمرون عليها، حتى حدث عملية الانفصال بين مصر والسودان مما ترتب عليه فصل منطقة النوبة علي يد الانجليز ما كان له الأثر السلبي الكبير عليهم وانتهت بوضع المنطقة تحت الإحكام العسكرية.

خزان أسوان وتأثيره على النوبيين

ومع حلول القرن العشرين الميلادي قام الانجليز ببناء خزان بالقرب من أسوان وذلك لزيادة الرقعة الزراعية وتوفير المياه للري. وقد بدأ فى تشيد الخزان في عام 1315هـ/ 1898م وتم افتتاحه في عام 1320هـ/ 1902م/ **(شاروبيم، 2003)**. الأمر الذى أدى إلى تكوين بحيرة صناعية امتدت لمسافة 140 كيلومتر لتصل إلى قري الكنوز بالنوبة والتى غمرتها المياه **(آدمز، 2004)**. كما أدت إلى غرق الأراضي الزراعية والنخيل ومعظم الأشجار مما دفع الاهالى إلى الهجرة إلى جهات أخري, كما أصدر مجلس النظار مشروع قرار في(20 ربيع الأول 1320هـ/ 27 يونيه 1902م) باعتبار بعض الملكيات من أراضي النوبة لتكون ضمن أملاك الدولة لإقامة خزان أسوان عليها ولتخزين المياه خلفها، لذلك تعتبر الأراضي الواقعة على مقربة من الشلال وأراضي قرية دابود ودهميت وكلابشة وابى هور وثلاثة عشر نجعا تابعة لمرواو [45].

ثم قررت الحكومة تعلية خزان أسوان مما زاد من معاناة سكان النوبة، حيث أدت التعلية إلى غمر مساحة تزيد عن 225 كيلومتر، لذلك اقترح مجلس شوري القوانين على الحكومة تخصيص مكان

[43] جريدة مصر، العدد رقم 989، 16/ 5/ 1899.
[44] جريدة المؤيد، 5/ 12/ 1901، ص195.
[45] دار الوثائق القومية بالقاهرة, وثائق مجلس الوزراء, الكود الارشيفى 0075-034035, 1902. : لمزيد عن مواد التى أصدرتها مجلس النظار عن نزع ملكية أراضي النوبة للإقامة الخزان. انظر: الوقائع المصرية, العدد 68, 30/ 6/ 1902, ص1125- 1126.

بعيد عن المياه لسكان الأراضي التى سيغمرها مياه خزان أسوان, لأن الأهالي باتوا بلا مأوى أو مسكن سوي قمم الجبال[46] (لودفيج، 1997) وهم نحو العشرين آلف نسمة, ولكن ردت الحكومة في (23 جمادي الأول 1325هـ/ 4 يوليو1907م) بأن أهالى النوبة يرفضون الرحيل وهذا ما حدث عندما انشأ خزان أسوان، حيث قامت الحكومة بتخصيص أراضي للسكان المتضررين في إقليم دنقلة بدلا عن أراضيهم التى ستغمرها مياه الخزان فرفضوا قبولها على اعتبار أنهم لا يريدون ترك موطنهم والانتقال إلى جهة أخري[47].

ورغم ذلك قررت الحكومة تخصيص أراضي لضحايا الخزان حتى يستطيعوا استغلال أطيانها ونخيلها, أما عن المساكن فيكون التعويض عنها نقدي حتى يتيسر لهم بناء ما يليق لهم, حيث قررت الحكومة في (13 ذو القعدة 1325هـ/ 19 ديسمبر 1907م) تخصيص أراضي لهم بجهة إدفو بناحية الكلح[48].

ولقد رفض أهالى الكنوز أيضا أن يتركوا موطنهم الحالي (17 ذو الحجة 1325هـ/ 21 يناير 1908م) والانتقال للسكن بمركز إدفو، ولعل ذلك بسبب عدم رغبتهم في الهجرة وظل يحدوهم الأمل في زراعة أراضيهم بعد انحسار مياه الخزان[49]، ولكن تم تهجير معظمهم بعد ذلك إلى هذه المنطقة والتى تعرف حاليا بوادي الكنوز.

وفي (21 محرم 1326هـ/ 24 فبراير 1908م) أجرت نظارة الإشغال التحريات بتلك الجهة في هذا الخصوص والتى قام بها مفتش عموم الوجه القبلى ليتبين له أن الأهالى لا يميلون إلى ترك بلادهم، ورأى أن تشكل لجنة لتقدير خسائرهم، أما قيام الحكومة على نقلهم إلى ناحية الكلح بدلا من أراضيهم فهذا يحتاج لنفقات كثيرة من حيث تركيب طلمبات وإعداد الأراضي لتكون صالحة للزراعة وتعتقد الحكومة أن هؤلاء الأهالى الفقراء لا يستطيعون القيام بها[50].

الجدير بالملاحظة أن الحكومة كانت تشكل لجانا لتقدير التعويضات منذ إنشاء خزان أسوان. وقد قدرت إجمالى التعويضات بحوالى مليون ونصف جنيه بما في ذلك التعويضات اللازمة التى تم تسديدها لسكان النوبة، حيث إن تعويضات المقتضي دفعها في 1910م عن الأراضي التى غمرت مياه الخزان قدرت بمعرفة نظارتى المالية والأشغال بنحو20000 جنيه، وأضيف إليها ما قدرته اللجنة من أشجار النخيل التي غمرتها المياه في عام 1903م بمبلغ 29000 جنيه الذي كان مقدرا دفعه كتعويض عن أشجار النخيل التى أتلفتها المياه، بالإضافة إلى المبلغ السابق الذي دمجته

[46] يذكر إميل رغم تعلية خزان أسوان التى تغمر في كل مرة يتم تعليتها ألاف المنازل الأسر, إلا أنهم يرفضون مغادرة تلك الأرض التى عاش عليها أجدادهم, وكانوا يقوموا ببناء أكواخ في أماكن مرتفعة.

[47] دار الوثائق القومية بالقاهرة, وثائق مجلس الوزراء, الكود الارشيفى 0075-016019 , 4/ 7/ 1907.

[48] دار الوثائق القومية بالقاهرة, وثائق مجلس الوزراء, الكود الارشيفى 0075-016020 , 19/ 12/ 1907.

[49] وثائق مجلس الوزراء, الكود الارشيفى 0075-016020, 21/ 1/ 1908. : دار الوثائق القومية بالقاهرة, وثائق مجلس الوزراء, الكود الارشيفى 0075-016022 , 30/ 1/ 1908.

[50] دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى، 0075-016026 ، 24/ 2/ 1908.

المالية في (30 أبريل 1910م/ 20 ربيع الثانى 1328هـ) ليكونا اعتماديين يتم دفعهما لأصحاب الأراضي التى غرقت[51].

وفي عام (1330هـ) 1912م أى بعد عشر سنوات من إقامة الخزان وبسبب هذه التعلية الأولى فقد غمرت المياه أراضي النوبة بما عليها من مساكن وأراضي ونخيل على طول 225 كيلومتر، ويتكرر هذا الفيضان لمدة ثمانية أشهر في كل عام مما أدى إلى فقدان كل المقومات الاقتصادية لتلك المنطقة، ورغم أن الحكومة كانت تشكل اللجان لتقدير خسائرهم والتى كانت عبارة عن تعويضات ضعيفة إلا أنها لم تكن تصرف إلا بعد عدة أعوام، حيث قامت نظارة المالية بفتح اعتماد لدفع تعويضات للأهالى عن الأراضى التى نزعت ملكيتها وتضررت بسبب التعلية في ميزانية (1337- 1338هـ/ 1919- 1920م)[52].

ولأن أهالي تلك المنطقة كانوا لا يستطيعون زرع شبر أرض بسبب غرقها، فكانوا يعتمدون على السودان باعتبارها اقرب الجهات إليهم وذات خيرات كثيرة، وبالإضافة إلى ذلك فإن الحكومة لم تقدم لهم أى مشروعات يعيشون منها، هذا رغم أن وزارة الإشغال كانت تخطط لعمل مشروعات بها إلا أنها لم تنفذ شيئا ومنها مشروعات ري بعدة أماكن بمركز الدر، ويعتقد مدير أسوان أن السبب الحقيقي في إهمال هذه المشروعات وعدم تنفيذها يرجع إلى أن الحكومة لا تنظر إلى هذه المناطق على أنها جزء من القطر وهذا يظهر من تردد وزارة الإشغال وعدم جديتها في الإصلاح، لذلك كانت تلك المنطقة تعيش على ما تسمح به حكومة السودان بتصديره لهم، حيث كانت الحكومة السودانية قد أصدرت قرارا بمنع تصدير الذرة خارج السودان وحين شعر أن أهالى البلاد الواقعة قبلى أسوان حتى حدودها والذين يبلغ تعدادهم حوالى سبعين ألف نسمة، ليس لهم ما يزرعونه ويعيشون منه بل يعتمدون على الذرة الواردة من السودان، فقررت استثناء هذه البلاد من قرار المنع وسمحت لهم بتصدير الذرة لهم[53].

ولكن فى الأول من شهر سبتمبر 1925م (1343هـ) توقفت الحكومة السودانية عن إرسال الذرة لهم, وأصبح الاهالى في حالة من الفقر الشديد بسبب انقطاع تصدير الذرة لهم وهو مورد غذائهم الوحيد, وكان السبب أن نائب مدير حلفا كان قد قام بعمل تحريات بسيطة عن هذه المنطقة فوجد أن كمية الذرة التى تحتاجها هذه الجهة هى 1200 أردب[54]، وأنه أبلغ الحكومة لتقوم بعمل تصريح بتصدير هذه الكمية وحتى 24 سبتمبر لم تتم الموافقة، ولأن هذه الكمية لا تكفى سكان تلك المنطقة، فإن مدير أسوان أرسل إلى رئيس مجلس الوزراء لمخاطبة حكومة السودان لتسمح

[51] دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى، 0075-035845،30/ 4/ 1910.
[52] دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى، 0075-025908 ، 2/ 10/ 1919.
[53] دار الوثائق القومية بالقاهرة, وثائق مجلس الوزراء, الكود الارشيفى, 0069-005760 , 24/ 9/ 1925.
[54] أردب هو مكيال يتم استخدامه لوزن الحبوب.

بتصدير الذرة لهم مع زيادة الكمية إلى 5000 أردب على الأقل، وأن تأمر الحكومة وزارة الأشغال للاهتمام بهذه المنطقة وتنفيذ مشروعات الري العديدة التى سبق أن قررتها لهذه المديرية ولم ينفذ أي منها[55].

وهكذا مرت على النوبة عدة مراحل أفقدتها أراضيها التى هي مصدر رزقها وأهم المقومات الاقتصادية ليتحمل النوبيون هذا الوضع لمدة تزيد عن الثلاثين عاما، بل تزايدت أعبائهم ومعاناتهم مع التعلية الثانية لخزان أسوان في عام(1351هـ) 1933م والتى أدت إلى اتساع البحيرة وامتدادها نحو الجنوب على امتداد 350 كيلومتر لتكون أكثر وبالاً على النوبيين والتى أدت أيضا إلى تدمير منطقة الكنوز وفقد المواطنون قراهم وأراضيهم من المالكى حتى أدندان آخر حدودنا مع السودان, وهكذا غرقت الأراضي على امتداد ثلاثين عاما وفقدت أراضي النوبة خصوبتها **(Kennedy, 1978)** ورغم كل ذلك رفض النوبيون دعوة الحكومة المصرية التى تهدف إلى تهجيرهم إلى شمال أسوان وفضلوا السكن على سفوح التلال، بجانب أراضيهم المغمورة بالمياه وهاجر الرجال القادرون على العمل إلى مصر والسودان ليرسلوا المساعدات المالية إلى أسرهم، باستثناء بعض العائلات التى هاجر أفرادها إلى مناطق أخري أكثر أمانا ليؤسسوا قري جديدة فى الشمال من أسوان **(Hopkin, 2010).**

ولقد تقدمت مجموعة من النوبيين بشكوى إلى الحكومة اعتراضا على سوء المعاملة في صرف التعويضات المستحقة لهم أثر التعلية الثانية، وعبروا عن غضبهم لحرمانهم من الاعتراض على تقدير ما نزع من أملاكهم، فضلا عن أن الحكومة عرضت عليهم أراضي غير صالحة للزراعة لا تقارن بأراضيهم الخصبة فى النوبة، كما قامت اللجنة المخصصة لصرف التعويضات بتقدير النخلة بأنها تتراوح بين عشرة قروش إلى خمسين قرشا وتعويض المنزل حسب عدد الغرف ولا يزيد التعويض عن خمسة جنيهات وفدان الأرض ما بين عشرين إلى أربعين جنيها، الذي أعتبره النوبيون تعويضات لا تتناسب مع التضحيات التى قدموها لوطنهم مصر **(عفيفي، 2008).**

بالإضافة إلى ذلك فإن انحسار مياه الخزان كانت تجعل من الصعوبة الانتقال في النوبة، فالباخرة التى تربط بين قري النوبة كانت تتعثر في سيرها وهى التى تنقل الركاب والبضائع والبريد باعتبارها الوسيلة الوحيدة لعدم وجود مواصلات برية تربط البلاد، ورغم كل ما مر به النوبيون إلا أنهم لم يصمتوا عن المطالبة بحقهم عن طريق مجلس النواب[56] والذي كان يمثلهم عبد الصادق عبد

[55] لمزيد عن التقرير المرسل من مدير أسوان إلى رئيس مجلس الوزراء عن إهمال وزارة الإشغال تنفيذ مشروعات الري بالمديرية وطلب موافقة حكومة السودان على تصدير الذرة لخط الشلال إلى حلفا. انظر: وثائق مجلس الوزراء, الكود الارشيفى, 0069-005760

[56] لقد قامت وزارة الداخلية بإصدار قرار بتحديد دوائر الانتخاب لمجلس النواب في 2 أكتوبر سنة 1923 بالمديريات والمحافظات, قسمت دوائر الانتخاب لمديرية أسوان وجعلت الدائرة الرابعة لتكون مقرها الدر وعدد أهاليها 62776, ومركزها أسوان وتتكون من البلاد التى تقع ما بين دابود حتى أدندان حوالى 40 قرية, وتعمل دائرة فرعية في نقطة بوليس سيالة وأخري بنقطة بوليس توشكى. ثم أصدرت وزارة الداخلية قرار بتقسيم بعض دوائر الانتخاب لمجلس النواب إلى دوائر فرعية في 13 أكتوبر سنة 1923. بان قسمت دائرة

الحميد ليأتي مع الحكومة المنتخبة برئاسة مصطفي النحاس في عام 1354هـ/ 1936م الذي طالب بإعادة النظر في التعويضات الهزيلة التى دفعت لأبناء النوبة، وطالب بمنحهم أراضي صالحة للزراعة بدلا من الأراضي التى غمرتها المياه وإقامة مشروعات للري في الأراضي الجديدة التى اكتشفت في النوبة.

ولقد كانت الظروف التى تمر بها النوبة والتغيرات التى طرأت على البلاد أدت إلى انتشار الأمراض والأوبئة في القري مثل التيفود والملاريا والبلهارسيا نتيجة لعدم وجود عناية صحية، بالإضافة إلى ظهور بعوضة الجامبيا وهى من أخطر أنواع الملاريا التى أدت إلى انتشار الوباء في قري الجنوبية مثل أدندان وابوسمبل ثم أخذت تنتقل إلى الشمال وتفتك بالأهالى حتى وصلت إلى منطقة كوم امبو وهنا أدركت الحكومة خطورة هذا الوباء ولولا تدخل منظمة الصحة العالمية لفتك المرض بكل أهالى النوبة **(صالح، 1997)**.

وهذا جعلهم يواصلون المطالبة برفع أسباب المعاناة والظلم وإعادة النظر فى تعويضات التعلية الثانية لخزان أسوان، ولقد أتيحت لهم الفرصة ليتقدموا بشكواهم إلى قائد الثورة اللواء محمد نجيب عندما زار النوبة فى سنة 1372هـ/ 1953م **(صالح، 1997)**. وفي (7 جمادي الأول 1379هـ/ 8 نوفمبر 1959م) أبرمت اتفاقية بين السودان والجمهورية العربية المتحدة للاستفادة من مياه النيل، وما أن وقع المصريون على الاتفاقية، حتى أعلنوا عن تنفيذ مشروع السد العالي. وفي يناير 1960م (1379هـ) قامت الحكومة بوضع حجر الأساس لتشييد السد العالي بحضور الرئيس جمال عبد الناصر وبدعوته لبعض رؤساء الدول الصديقة لحضور الاحتفال في النوبة **(Hopkin, 2010)**.

الخاتمة والنتائج

لقد تناولت بالبحث والدراسة موضوع الحياة السياسية فى النوبة من 1805 إلى 1960. لقد تبين لنا مدي ما مثلته تلك الفترة من أهمية في التحول السياسي لمنطقة النوبة التى كانت تتمتع بالاستقلال. ولكن تغير الوضع منذ عام 1805 لتصبح تحت الحكم المصري والحد الجنوبي لها. ولقد أثمرت الدراسة عن العديد من النتائج وهي:

– إن الحياة السياسية للنوبة أثرت بالسلب علي مقوماتها الاقتصادية، بالإضافة لانتشار الأمراض.

– أظهرت الدارسة أن النوبة منذ وقوعها تحت الحكم العثماني أصبحت أحد المراكز المهمة على

الدر ويكون مقرها بنقطة بوليس سيالة ومركزها أسوان وتتكون من دابود وحتى وادي العرب. بينما الدائرة الفرعية الأخري بذات دائرة الدر ويكون مقرها بنقطة بوليس توشكى ومركزها الدر وتتكون من الجنينة والشباك وحتى أدندان. انظر: الوقائع المصرية, العدد رقم 99, 11/ 10/ 1923, ص37. : الوقائع المصرية, العدد رقم 100 "غير اعتيادي", 17/ 10/ 1923.

اعتبار أنها بوابتهم إلى داخل أفريقيا، ما نتج عنه أن النوبة فقدت سيطرتها علي أراضيها بل أصبحت تحت حكم الكشاف.

– أظهرت الدراسة محاولة مقاومة النوبيين لهجمات الفرنسيين علي منطقتهم.

– شهدت منطقة النوبة أخر المعارك علي أراضيها خلال حكم أسرة محمد علي ضد المهديين.

– شهدت النوبة زيارة الخديوي توفيق الذي أقام ضريح لشهداء معركة توشكي.

– قام الخديوي عباس حلمى الثاني بزيارة النوبة وتفقد أحوالها وللتأكيد على حدود المنطقة وصولا إلى حلفا، ثم قام بتقسيم المنطقة إداريا وجعلها محافظة.

– كما أوضحت الدارسة أنه تم تقسيم الحدود رسميا في مارس 1899 بين كمندان حلفا وممثل هيئة الأراضي الحكومة المصرية لتكون حدود مصر الجنوبية عند حلفا.

– أظهرت الدراسة أن منطقة النوبة دخلت مرحلة جديدة مع بدايات القرن العشرين بعد أن بدأت الحكومة في إنشاء خزان أسوان وتحديدا في عام 1902 والذي يمثل بداية غرق أراضي ومنازل النوبيين علي مسافة 225 كيلومتر ثم زادت بعد التعلية الأولى فى عام 1912 والتعلية الثانية في عام 1933 لتغرق نحو 350 كيلومتر، لينتهى بتهجيرهم مع بناء السد العالي في عام 1963م.

– بناء السد العالى أغرق جميع القري النوبية، الأمر الذى جعل التهجير خيارا لا مفر منه للنوبيين.

قائمة المصادر والمراجع

وثائق غير منشورة

1- دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الأرشيفي 0075-013400 24/ 6/ 1884.

2- دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى 0075-031861 30/ 6/ 1887.

3- دار الوثائق القومية بالقاهرة وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى 0075-003421 22/ 3/ 1888.

4- دار الوثائق القومية بالقاهرة وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى 0075-034035 1902.

5- دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى 0075-016019 4/ 7/ 1907.

6- دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى 0075-016020 19/ 12/ 1907.

7- دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى 0075-016020 21/ 1/ 1908.

8- دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى 0075-016022 30/ 1/ 1908.

9- دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى 0075-016026 24/ 2/ 1908.

10- دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى 0075-035845 30/ 4/ 1910.

11- دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى 0075-025908 2/ 10/ 1919.

12- دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثائق مجلس الوزراء، الكود الارشيفى 0069-005760 24/ 9/ 1925.

الدوريات والصحف

1- الوقائع المصرية، العدد رقم 88، 3/ 8/ 1889.

2- الوقائع المصرية، العدد رقم 89، 5/ 8/ 1889، ص2224.

3- الوقائع المصرية، العدد رقم 7، 17/ 1/ 1894، ص52.

4- الوقائع المصرية، العدد رقم 9، 19/ 1/ 1899، ص125- 128.

5- الوقائع المصرية، العدد 68، 30/ 6/ 1902، ص1125- 1126.

6- الوقائع المصرية، العدد رقم 99، 11/ 10/ 1923، ص37. :

7- الوقائع المصرية، العدد رقم 100 "غير اعتيادي" 17/ 10/ 1923.

8- جريدة المؤيد، العدد رقم 29،1195/ 1/ 1894.

9- جريدة المؤيد، 5/ 12/ 1901، ص195.

المصادر

1- الجبرتي. عبد الرحمن بن حسن. (1997)، عجائب الآثار في التراجم والإخبار, ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة.

المراجع العربية

1- **أبو بكر. عبد المنعم، (1962)، بلاد النوبة ، المكتبة الثقافية، القاهرة.**

2- الحفناوى. أحمد، (1982)، سودان وادي النيل في ظل الإسلام، دار المعارف، الإسكندرية.

3– الحويري, محمود محمد، (1996)، أسوان في العصور الوسطي, الطبعة الثانية. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية, القاهرة.

4- الرافعى. عبد الرحمن، (1987)، عصر إسماعيل، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.

5- الرافعى. عبد الرحمن، (1989)، عصر محمد على، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة.

6- الرافعي. عبد الرحمن، (1989)، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال (تاريخ مصر القومى سنة 1882 إلى سنة 1892) الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.

7- السروجى. محمد محمود، (1998)، دراسات في تاريخ مصر والسودان، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية.

8- السيد. سيد محمد، (1997)، مصر في العصر العثمانى، مكتبة مدبولى، القاهرة.

9- الشامى. صلاح الدين، (1961)، الموانئ السودانية، مكتبة مصر، القاهرة.

10- الطوخي. نبيل السيد.، (1997)، صعيد مصر في عهد الحملة الفرنسية، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

11- بكر. محمد إبراهيم، (1987)، صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم، دار المعارف، القاهرة.

12- رفعت. محمد، (1943)، تاريخ مصر السياسى، الطبعة الثالثة، مطبعة الاميرية ببولاق، القاهرة.

13- سعد. مصطفي محمد، (2011)، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

14- شاروبيم. ميخائيل بك، (1998)، الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، ج-4ج5، مجلد الأول- (القسم الأول –

القسم الثاني) تحقيق عبد الوهاب بكر، دار الكتب المصرية، القاهرة.

15- شاروبيم. ميخائيل بك، (2003)، الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، ج5، القسم الثالث، تحقيق عبد الوهاب
بكر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
16- شكرى. محمد فؤاد، (1948)، بناء دولة مصر في عهد محمد على، دار الفكر العربي، القاهرة.
17- صالح. إبراهيم عبد الرسول، (1997)، النوبة الصامدة بين السدين وتوشكي، مطبعة شاكر، الاسكندرية.
18- عفيفي. إلهام محمد، (2008)، معركة بناء السد العالي وتأثيره الاقتصادي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
19– فايسر. بيتر، (1989)، النوبي المصري, ترجمة شرف الدين حمد الملك , الطبعة الثالثة, مطبعة الجامعة الأمريكية في القاهرة، القاهرة.
20- مهران. محمد بيومى، (1999)،المدن الكبري في مصر والشرق الأدنى القديم، ج1-ج2، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
21- هريدي. صلاح أحمد، (2006)، الصعيد في العصر العثمانى، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية
والإجتماعية، القاهرة.

المراجع المعربة

1- آدمز. ويليام ي. (2004) ،النوبة رواق إفريقيا، ترجمة محجوب التجانى محمود، الطبعة الأولى، القاهرة، شركة مطبعة الفاطيما إخوان.
2- بوركهارت. جون لويس، (2007)، رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد اندراوس، المجلس
الأعلى للثقافة، القاهرة.
3- دفع الله. حسن، (2002)، هجرة النوبيين, ترجمة سمية عبد المجيد محمد، الطبعة الأولى، دار عزة للنشر والتوزيع،
السودان.
4- فرنيا. روبرت.، وجورج يرستر، (2003)، النوبيون في مصر شعب مسالم، ترجمة د. أحمد سوكارنو عبد الحافظ، دار
البهاء للطباعة والنشر, المنيا.
5- كوستاز، (1978)، دراسات عن المدن والأقاليم المصرية، علماء الحملة الفرنسية، ترجمة زهير الشايب دار الشايب
للنشر، ج3، كتاب وصف مصر، دار الشايب للنشر، القاهرة.
6- ماكيفيدى. كولين، (1987)، أطلس التاريخ الأفريقى، ترجمة مختار السويفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
7- لودفيج. إميل، (1997)، النيل حياة نهر، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الرسائل العلمية

1- عبد الكريم. محمد أحمد. (2009)، النوبة من الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الإخشيدى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة.
2- فرمان، أحمد عبد المنعم. (2005)، الاستغلال الاقتصادئ لموارد النوبة في عصر الدولة الحديثة بمصر الفرعونية, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب, جامعة الإسكندرية.

المراجع الاجنبية

1- Adams. W. Y., (1982), The Coming of Nubian Speakers to the Nile valley, The archaeological and linguistic reconstruction of African history, Edit. Ehret and M. Posnansky, (California: university of California, 1982), 21.

2-Budge, Wallis, E.A. (1970) A History of Ethiopia, Anthropological Publications, The Netherland.

3- Emery, W. (1948) Nubian Treasure, an account of the discoveries at Ballana and Qustul. Methuen & Co.LTD., London.

4- Hinds. Martin., and Hamdi Sakkout, (1986), Arabic document from the Ottoman period
from Qasr Ibrim, Egypt exploration society, London.

5- Hopkins. Nicholas S., and Sohir R. Mehanna, (2010), Nubian resettlement and anthropology, Nubian Encounters, ed. Nicholas S. Hopkins and Sohir R. Mehanna, (Cairo: the American university press).

6- Kennedy, John, G. (1978), Nubian ceremonial life. California: The University of California press.

7- Leclant. Jean, (1978), "The Present Position in the Deciphering of Meriotic Script", The peopling of ancient Egypt and the deciphering of Meroitic script, (Belgium, The United Nations educational scientific and cultural organization.

8- Shaw. Stanford J., (1966), Ottoman Egypt in the age of the French revolution,

(United states of America: Harvard university press.

9- Shinnie, P. L., and M. Shinnie. (1965) "New Light on Medieval Nubia", Journal of

African History 6, p. 263- 273.

10- Smith, H. S. The development of the A-group culture in Northern lower Nubia, Egypt and Africa, Edit. Davies W. V., London, (1991), 92- 111.

11- Poeschke, Roman. (1996), Nubians in Egypt and Sudan. Verlag fur Enwicklungspolitik, Saarbrucken, 1996.

12- Grzymski. Krzysztof, (2004), Landscape Archaeology of Nubia and central Sudan, The African Archaeological review, Vol.21, No.1, p. 7- 30 .

Abstract

Before relocation, Nubians lived in a deserted area to the south of Aswan, Egypt. The Nubian history goes back to ancient Egyptian times, the Roman Egypt and all the way to the Christian Nubia, which was characterized by a Unified Nubian Kingdom. This kingdom resisted the Arab invasion in the 7th century. Nubia turned to Islam when the Nubian king was persuaded to give up his Christian religion and adopt Islam. Life in Nubia was impacted when Egypt decided to build a dam on the Nile in 1902. The dam, which inundated and destroyed Nubian homes and lands, was raised twice (1912 and 1933). As a result, some Nubians had to emigrate from Nubia to the north of Egypt. In 1963 the government of Egypt decided to operate\ the High Dam; therefore, relocation of Nubians was deemed necessary, relocation in villages in the area to the east and north of Kom Ombo.

Keywords

Nubia– Relocation – The dam – The Nile – Nubian